

التزام الشرع واستخدام العلم الحديث في معالجة الفقر

إسماعيل حسنين أحمد

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

من البدهة أن أي فرد لديه ممتلكات ذات قيمة فإنه يقوم برعايتها والإشراف عليها بدقة خشية أن تتبدد أو تهلك، فالذي يملك مصنعا للمواد الغذائية فإنه يسعى جاهداً لتوفير المواد والآلات والأدوات اللازمة للإنتاج، وأماكن التخزين وآلات التبريد اللازمة لحفظ المنتوجات، وكذا الأفراد الذين يتولون العمل مع توفير ما يؤمن حياتهم، ويضمن لهم عيشة كريمة تشجعهم على الاستمرار في العمل والولاء لصاحب المصنع. وبالمثل فإن الذي لديه مزرعة يسعى جاهداً لتوفير ما يلزم لزراعتها من حبوب وفسائل، ومياه لريها، وعمال أو آلات لإصلاحها وتعمد الزراعة بالرعاية الكاملة من ريّ وتسميد وتنظيف، وجني أو قطف أو حصاد، حسب نوع المزرعة، وتنقية وتعبئة وتغليف إلخ... فإذا كان هذا من شأن البشر فما شأن ربّ البشر؟ ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾^(١). نحن المسلمين نؤمن بأن الخالق سبحانه وتعالى خلق الإنسان وقدر له ما يكفل له العيش على هذه المعمورة التي جعله خليفة عليها، وسخر له ما في البر والبحر، ووهبه العقل وهياً له السبل لعمارة الأرض واستغلال خيراتها ما ظهر منها وما بطن، وليس أدلّ على هذا من قوله تعالى في سورة الحجر ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَدْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزَلُهُ إِلَّا

١- سورة الأعلى، الآيات: ٢-٥.

بِقَدْرِ مَعْلُومٍ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَاَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢﴾ .
 وأيضاً قوله تعالى في سورة النحل: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجْرٌ فِيهِ
 تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ
 يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
 لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ
 الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ
 فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
 وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ .

هذه الآيات وغيرها تدلنا على أن الله تعالى خلق الخلق وكفل لهم العيش في البر والبحر،
 وما عليهم إلا أن يستعملوا مواهبهم لاستغلال ما سُخِّرَ لهم. فإذا تقاعسوا أو تكاسلوا أو تواكلوا أصابهم
 ما أصابهم من الفقر الذي يعتبر سبباً في مشاكل كثيرة، اجتماعية وأمنية وصحية.
 كذلك حثَّ المولى سبحانه وتعالى الإنسان على عمارة الأرض التي أودع له فيها كنوزاً وسُخِّرَ
 له ما تحويه في باطنها، ونرى ذلك جلياً في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا
 فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (٤)، ووضع له تشريعات تجذبه مشكلة الفقر، ووضع
 الحلول العلاجية والوقائية للمجتمع لحمايته من الفقر وأخطاره. قال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا
 وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
 وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي
 الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ... ﴾ (٥). وقال في موضع آخر: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا
 أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ
 بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (٦).

٢- سورة الحجر، الآيات: ١٩-٢٢.

٣- سورة النحل، الآيات: ١٠-١٦.

٤- سورة الملك، الآية: ١٥.

٥- سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

٦- سورة البقرة، الآية: ٢١٥.

أهداف البحث:

- يهدف هذا البحث المتواضع إلى معرفة أسباب الفقر في الدول الإسلامية، والإجراءات التي اتخذت لمعالجته من قبل الحكومات أو المنظمات الدولية والإقليمية والمحلية وفقاً للتشريع الإسلامي الحنيف.
- إيجاد بعض الحلول التي تساهم في الحد من الفقر في الدول الإسلامية النامية، خصوصاً التوسع في استصلاح الأراضي الزراعية، وتوفير المياه اللازمة لريّها، ومساعدة وتشجيع المزارعين وتوفير المواد والأدوات والمعدات اللازمة للزراعة.

حدود البحث:

سوف يقتصر هذا البحث على:

- ١- معرفة التوجيهات الإسلامية الخاصة باستغلال الثروات والموارد الطبيعية التي أودعها الله في الأرض وسخّرها للإنسان.
- ٢- تناول الجانب الزراعي فقط خصوصاً في الدول التي تمتلك مسطحات وروافد وخزانات مائية عذبة على أراضيها أو في جوفها.

خطوات البحث:

ولتحقيق الأهداف المذكورة أعلاه يجدر بالباحث اتخاذ الخطوات التالية:

- ١- الاطلاع على الإرشادات الإلهية والتوجيهات النبوية الخاصة باستغلال الموارد الطبيعية التي أودعها الله تعالى في الأرض من مياه ومعادن.
- ٢- الاطلاع على البحوث والدراسات التي تمت في هذا المجال لمعرفة قدر الأراضي الصالحة للزراعة والمزروع منها بالفعل، والأراضي البور، وكميات المياه المستغلّة في الري بالفعل، والمياه غير المستغلّة، السطحية منها والجوفية وإمكانية استغلالها في توسعة الرقعة الزراعية.
- ٣- مدى إمكانية زيادة المصادر المائية لريّ الأراضي القابلة للزراعة، كاستخراج المياه الجوفية، وتخزين مياه المطر، وإقامة السدود، وشق القنوات المائية؛ العذبة والمالحة... إلخ.
- ٤- ما القرارات التي اتخذتها الحكومات أو المنظمات الدولية للقضاء على الفقر كما حدث في مؤتمر قمة الأرض الذي عقد بالبرازيل عام ١٩٩٢م، وما تبعه من مؤتمرات دولية وإقليمية. وهل تمّ تنفيذ هذه القرارات؟ وإلى أي حدّ ساهمت تلك القرارات في معالجة الفقر؟

٥- التوصل إلى بعض المقترحات والتوصيات التي يمكن أن تساهم في معالجة الفقر على ضوء التشريع الإسلامي.

وقبل الخوض في الموضوع نشير إشارة سريعة إلى مفهوم الفقر والفقراء، وأهم العوامل التي تتسبب فيه، وآثار الفقر على المجتمعات سياسياً وثقافياً وصحياً.

مفهوم الفقر:

الفقر ضدّ الغنى، وهو عبارة عن فقد ما يحتاج إليه الفرد من ضروريات الحياة كالملبس والسكن والمطعم والمشرب، والدواء، والتعليم. فإن توفرت هذه الحاجيات لدى الفرد فهو ليس بفقير. الفقراء: هم الذين لا تتوفر لهم أسباب العيش الضرورية من مياه عذبة، وأغذية طازجة، وملابس يتسترون بها وتقيهم الحر والبرد، وأدوية لازمة، ومساكن مناسبة، وتعليم كافٍ، أو بالأحرى الفقراء هم من يعيشون عيشة دون متوسط حاجات البشر العادية.

ويمثّل الفقر أحد أهم التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، فعلى مستوى العالم كله - الذي يعتبر نصف سكانه من الفقراء - يعيش نحو ١,٣ مليار إنسان تحت خط الفقر. وفي العالم الإسلامي يعيش ٣٧٪ من السكان تحت مستوى خط الفقر، أي ما يعادل ٥٠٤ ملايين شخص تقريباً، وتبلغ نسبتهم إلى فقراء العالم ٣٩٪، وهذا يعني أن أكثر من ثلث سكان العالم الذين يعيشون تحت مستوى خط الفقر يسكنون دول العالم الإسلامي^(٧).

العوامل المتسببة في الفقر:

- عوامل طبيعية خارجة عن إرادة الإنسان مثل: الجفاف، وهو من أكثر العوامل أثراً في افتقار الناس حيث إنه يتسبب في هلاك ثرواتهم الزراعية والحيوانية والتي تعتبر المصدر الرئيس لعيش معظم البشر على الأرض. وتعود أسباب الجفاف إلى عدة عوامل منها^(٨):

- ١- البعد عن المسطحات المائية- المحيطات والبحار والأنهار.
- ٢- ضعف عملية التبخر، ونقصان الرطوبة في الهواء.
- ٣- انعدام المنخفضات الجوية أو بعدها، بحيث لا تساعد على نزول الأمطار.

٧- دراسة أعدتها أسماء ملكاي، نشرتها الجزيرة، وهي مستمدة من كتاب واقع العالم عام ٢٠٠٠م

The world fact book 2000.

٨- راجع عبد الرحمن آل سعود، مشكلة الفقر وسبل علاجها في ضوء الإسلام. دار النشر، الرياض، ١٩٩٠م، ص ٧٥ وما بعدها.

التصحُّر: التصحُّر هو تعرُّض الأرض للتدهور في المناطق القاحلة وشبه القاحلة والجافة شبه الرطبة، مما يؤدي إلى فقدان الحياة النباتية والتنوع الحيوي (Biodiversity) بها، ويؤدي ذلك إلى فقدان التربة الفوقية ثم فقدان قدرة الأرض على الإنتاج الزراعي ودعم الحياة الحيوانية والبشرية. ويؤثر التصحُّر تأثيراً مفاجئاً على الحالة الاقتصادية للبلاد، حيث يؤدي إلى خسارة تصل إلى ٤٠ بليون دولار سنوياً في المحاصيل الزراعية وزيادة أسعارها.

وفي كل عام يفقد العالم حوالي ٦٩١ كيلومتر مربع من الأراضي الزراعية نتيجة لعملية التصحُّر، بينما حوالي ثلث أراضي الكرة الأرضية معرض للتصحُّر بصفة عامة. ويؤثر التصحُّر على القارة الإفريقية بشكل خاص، حيث تمتد الصحاري على طول شمال إفريقيا تقريباً. كما أنها أصبحت تمتد جنوباً، حيث إنها اقتربت من خط الاستواء بمقدار ٦٠ كم عما كانت عليه من ٥٠ سنة، وفي أكثر من ١٠٠ بلد من بلاد العالم يتأثر ما يقارب البليون نسمة من إجمالي سكان العالم البالغ عددهم ٦ بلايين نسمة بعملية تصحُّر أراضيهم؛ مما يرغمهم على ترك مزارعهم والهجرة إلى المدن من أجل كسب العيش^(٩).

عوامل بشرية، ومنها:

أ. الزيادة السكانية:

لقد وصل تعداد سكان العالم أول مليار نسمة عام ١٨٠٤م، ووصل ملياري نسمة عام ١٩٢٧م أي بعد ١٢٣ سنة، ووصل ثلاث مليارات نسمة عام ١٩٦٠م، وأكمل أربع مليارات نسمة عام ١٩٧٤م، ووصل إلى خمس مليارات نسمة عام ١٩٨٧م ثم ست مليارات نسمة عام ١٩٩٩م، ويتوقع أن يصل إلى تسع مليارات نسمة في نهاية النصف الأول من القرن الحادي والعشرين^(١٠).

ولا شك أن النمو السريع للسكان يعني بالضرورة ازدياد الكثافة السكانية، وهذا بدوره يشكل خطراً على البيئة إذ يحتاج السكان إلى توسيع رقعة المباني والتي لا شك أنها تكون على حساب الرقعة المزروعة، وبالتالي ينقص المنتج الزراعي. وقد أثبتت الدراسات أن معدل النمو السكاني في الدول الإسلامية يبلغ ٣٪ سنوياً، وأن هذا سيؤدي إلى تضاعف السكان ١٩ ضعفاً في القرن الحادي والعشرين، وهذه الزيادة يلزمها المزيد من المساكن والملابس والغذاء والتي يصعب توافرها من أرض

٩- نادية العوضي: التصحر الخطر المحدق بالعالم. إسلام أون لاين. يونيو ٢٠٠٤م. أيضاً عبد الرحمن

آل سعود، مرجع سابق: ص ٨٢-٨٤.

١٠- تقرير الأمم المتحدة عن السكان عام ١٩٩٨م.

محدودة وموارد محدودة، وبهذا تحصل مشاكل التضخم، والبطالة، ونقص التغذية، وأيضاً عدم التمكن من توفير الطاقة اللازمة لمعيشة هذه الملايين المستمرة في الزيادة^(١١).

وفيما يلي بيان بعدد السكان في العالم الإسلامي وفقاً لإحصاء الأمم المتحدة عام ٢٠٠٠م:

١- يبلغ عدد سكان العالم الإسلامي حوالي ١,٣٦١,٤٤١,٨٨٣ نسمة، ويشكلون ٢٢,٧٪ من مجموع سكان العالم البالغ ست مليارات نسمة.

وأكثر الدول الإسلامية تعداداً هي إندونيسيا (حوالي ٢٢٥ مليون نسمة)، تليها باكستان (حوالي ١٤٢ مليوناً)، ثم بنغلاديش (حوالي ١٢٩ مليوناً). ويشكل مجموع سكان هذه الدول الثلاثة ما نسبته ٣٦٪ من مجموع سكان العالم الإسلامي. أما أقل الدول الإسلامية عدداً فهي المالديف (حوالي ٣٠١ ألف)، تليها بروناي (حوالي ٣٣٦ ألفاً).

٢- وعن توزيع السكان حسب المراحل العمرية، فإن أكثر من نصف سكان العالم الإسلامي يتركزون في الفئة العمرية من ١٥ - ٦٤ سنة وبنسبة ٥٧,٢٪، تليها الفئة العمرية دون الرابعة عشرة وبنسبة حوالي ٣٩٪.

٣- التنمية السكانية: يبلغ معدل حالات الولادة في دول منظمة المؤتمر الإسلامي حوالي ٣٠ حالة لكل ألف نسمة، أعلى هذه المعدلات في النيجر (٥١,٤٥ / ألف نسمة)، تليها تشاد (٤٨,٨١)، أما متوسط حالات الوفاة فهي ١٠ حالات لكل ألف نسمة، أعلاها في موزمبيق (٢٣,٢٩ / ألف نسمة)، تليها النيجر (٢٣,١٧). وتبيّن الأرقام السابقة أن أكثر الدول من حيث نسب حالات الولادة والوفاة هي الدول الواقعة في أفريقيا والتي تعاني شعوبها من الفقر والجوع ومن تفشي أمراض مزمنة وسارية^(١٢).

ب: **النزاعات الداخلية:** تعتبر النزاعات الداخلية والعرقية من أبرز معوقات التنمية والتعاون في العالم الإسلامي، إذ تستنزف موارد كثير من الدول الإسلامية مثل: السودان والجزائر، وقد بلغت خسائر النزاعات العرقية في العقود الستة الأخيرة أكثر من ٦٠٠ ألف قتيل^(١٣).

١١- راجع عبد الرحمن آل سعود، مرجع سابق، ص ٩٠ وأيضاً أحمد صبحي العيادي، الأمن الغذائي في الإسلام، دار النفائس، عمان، ١٩٩٩م، ص ١٦٠-١٦١.

١٢- أحمد الطورة: العالم الإسلامي؛ أرقام ومؤشرات www.moe.gov.jo/school/eil/majalah52

ونادية العوضي: التصحر الخطر المحدق بالعالم. إسلام أون لاين. يونيو ٢٠٠٤م.

١٣- نادية العوضي: التصحر الخطر المحدق بالعالم. إسلام أون لاين. يونيو ٢٠٠٤م.

ونلاحظ أن أفقر دول العالم هي الدول التي توجد بها اضطرابات سياسية داخلية، وليس أدلّ على ذلك من بنغلاديش وأفغانستان في آسيا، والصومال والسودان وسيراليون في أفريقيا.

التوجيهات الإلهية في معالجة الفقر:

هناك توجيهات عديدة حثّ الله بها عباده لتفادي الوقوع في مشكلة الفقر أو العسرة في العيش. ونذكرها هنا بإيجاز شديد حيث إنها أخذت حظها من البحث والدراسة في العقود الأربعة الماضية، وهي:

أ. العمل والسعي:

يعتبر الخبراء أن العمل أساس الاقتصاد الإسلامي، فهو المصدر الرئيس للكسب الحلال. والعمل مجهود شرعي يقوم به الإنسان لتحقيق عمارة الأرض التي استخلف فيها والاستفادة مما سخره الله فيها لينفع نفسه وبني جنسه في تحقيق حاجاته وإشباعها.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (١٤).

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ دُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ (١٥).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (١٦).

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما أكل أحدٌ طعاماً قطُّ خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده" (١٧).

ب: كفالة الفقراء والمساكين وذوي الحاجات:

وتأخذ أشكالاً متنوعة كالزكاة والصدقة والنفقة والإحسان، ورعاية الدولة إلخ... فالزكاة ركن من أركان الإسلام، ووردت في القرآن الكريم كثيراً ومقتربة دائماً بالصلاة كقوله تعالى في سورة المزل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ (١٨). وفي سورة النور: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٩). وغيرها من الآيات التي اقترنت فيها الزكاة مع الصلاة.

١٤- سورة الأعراف، الآية: ١٠.

١٥- سورة الملك، الآية: ١٥.

١٦- سورة الجمعة، الآية: ١٠.

١٧- رواه البخاري، ح/ ١٩٣٠.

١٨- سورة المزل، الآية: ٢٠.

١٩- سورة النور، الآية: ٥٦.

والصدقة حثَّ عليها القرآن الكريم وحدد المستحقين لها، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ
يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَى
لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٠).

والفئات المستحقة لها محددة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ
عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٢١). وفي قوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (٢٢) وغيرها من الآيات الواردة في هذا
الشأن. وقد جاء في الحديث المتفق عليه الذي رواه ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين أرسل معاذًا إلى اليمن وبعد أن أمره بدعوتهم إلى التوحيد ثم الصلاة قال له: "فأخبرهم
أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم" (٢٣).

هذا بالإضافة إلى الموارد المالية الأخرى كالنذور والكفارات والغنائم والركاز والفيء والضرائب
التي تفرضها الدولة على الأغنياء وغيرها من الموارد المالية أو العينية التي تخصص لكفالة الفقراء
والمساكين وذوي الحاجات الضرورية من أبناء المجتمع. ولما كان من طبع الإنسان حب المال
والاكتناز، حذر الله تعالى الذين يكتزون أموالهم دون إخراج حقها بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ
وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتَكْوَىٰ
بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (٢٤). في حين
أنه وصف المجتمع المؤمن بأنه يتولى بعضه أمر بعض حتى يتحقق بينهم التكافل ويسود بينهم الأمن
قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

٢٠- سورة البقرة، الآيتان: ٢٦١-٢٦٢.

٢١- سورة التوبة، الآية: ٦٠.

٢٢- سورة النساء، الآية: ٣٦.

٢٣- رواه البخاري، ح/١٣٠٨.

٢٤- سورة التوبة، الآيتان: ٣٤-٣٥.

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٥﴾.

فلو أن المجتمع المسلم التزم بهذه التعليمات ونفذها بدقة لما وجد بين المسلمين فقير ولا مسكين ولا محتاج، فإن كثيرا من أغنى أغنياء العالم ينتمون إلى الإسلام، وأموالهم مستثمرة في دول غير إسلامية، وفوائدها تقدر بملايين الدولارات سنويا، ومنهم من يرفض أخذها على اعتبار أنها ربا. ولو أن المسلمين الذين تتجاوزت ثرواتهم المليار دولار أخرجوا زكاة أموالهم المفروضة عليهم وفقاً للشريعة الإسلامية لكفت فقراء المسلمين جميعا، بل لو استثمرت هذه الأموال في الدول الإسلامية لما وجد فقير واحد بين المسلمين. ولا عجب في ذلك فقد وقع مثل هذا في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، روى البيهقي في الدلائل عن عمر بن أسيد (عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) قال: إنما ولي عمر بن عبد العزيز ثلاثين شهرا، ولا والله ما مات حتى جعل الرجل يأتي بالمال العظيم، فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله، يتذكر من يضعه فيه فلا يجده، قد أغنى عمر الناس^(٢٦). ويعلق القرضاوي بعد أن أورد أحاديث عدة في هذا المضمار قائلا: وهكذا بلغ الرخاء والغنى - في ظل عدل الإسلام - حداً استطاع معه كل ذي حق أن يحصل على حقه من خزانة الدولة بلا تظلم ولا شكوى ولا طلب^(٢٧).

التوجيهات الإسلامية الخاصة باستغلال الثروات والموارد الطبيعية التي أودعها الله في الأرض وسخرها للإنسان.

الاهتمام بالمياه والري والزراعة:

من الحقائق المعلومة لدى الجميع أن الماء شريان الحياة، فالحياة توجد حيث وجد الماء، فإذا انعدم الماء فلا حياة ولا أحياء. وقد أثبت القرآن الكريم أن الماء هو أساس الحياة، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُوْمِنُونَ﴾^(٢٨). وقد جعل الله سبحانه وتعالى الماء نوعين: عذبا، ومالحا، وكلا النوعين مسخر لمصلحة الحياة والأحياء، فبعد أن أوضح الله سبحانه وتعالى أن الماء أساس الحياة، بين لنا أنه

٢٥- سورة التوبة، الآية: ٧١.

٢٦- راجع يوسف القرضاوي: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/٦، ١٩٩٥م، ص ١٤٦.

٢٧- المرجع السابق ص ١٤٧.

٢٨- سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

نوعان عذب ومالح فقال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢٩). فالمياه العذبة لها أغراض كما أن المياه المالحة لها أغراض لا تقل أهمية من المياه العذبة، بل إنها مصدر من مصادرها، كما هو الحال في الدول الاستوائية التي تعتمد على المياه المالحة كمصدر رئيس لمياه المطر العذبة اللازمة للحياة عموماً في تلك المناطق.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٠). وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ ثَمِيمٌ. يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣١).

وفي قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَالْبِئْسَ النَّشُورُ ﴾ (٣٢)، دليل على أن الرزق ليس محصوراً في الماء والري والزراعة، بل في كل ما أودعه الله في الأرض من معادن ومواد خام، وجعل ذلك كله متاحاً لبني الإنسان. والإنسان مخول للبحث والتنقيب عما تكنه الأرض في باطنها من كنوز وطاقات وخامات وخيرات، واستغلال ذلك كله في بناء وتنمية الحياة البشرية حسيّاً ومعنويّاً، فالإنسان خليفة الله في الأرض يعمّرها ويعبده سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ (٣٣). فالآية تتضمن عبادة الله تعالى، وعمارة الأرض، والعمل الصالح المتمثل في الاستغفار والتوبة.

٢٩- سورة فاطر، الآية: ١٢.

٣٠- سورة الأنعام، الآية: ٩٩.

٣١- سورة النحل، الآيتان: ١٠-١١.

٣٢- سورة الملك، الآية: ١٥.

٣٣- سورة هود، الآية: ٦١.

ممتلكات العالم الإسلامي من المياه:

أولاً: المياه العذبة:

تبلغ مساحة العالم الإسلامي حوالي ٣٢ مليون كم^٢ أي ما يقارب ربع مساحة اليابسة البالغة حوالي ١٤٩ مليون كم^٢، وتحيط به حدود برية تقدر بحوالي ١٦٨,٧٦٠ كم. وتغطي المياه جزءاً بسيطاً من أراضي العالم الإسلامي، يزيد قليلاً عن نصف مليون كيلومتر مربع، وتجري فيه أهم الأنهار وأطولها مثل: النيل وهو أطول أنهار العالم، والنيجر، والسند، وزمبيري، ودجلة، والفرات، والسنغال.

اسم النهر	طوله/كم
النيل	٦,٦٩٥
النيجر	٤,٧٠٠
السند	٢,٩٠٠
الفرات	٢,٧٣٦
زمبيري	٢,٧٠٠
دجلة	١,٨٣٥
السنغال	١,٧٠٠

ثانياً: المياه المالحة:

يطل العالم الإسلامي على أهم البحار والمحيطات والمضايق البحرية، وتقدر حدوده البحرية بحوالي ١٠٢,٣٤٧ كم، كما تحتضن أراضيه مدخلي المحيط الهندي (مضيق ملقا في الشرق بين ملايو وسومطره، ومضيق باب المندب في اليمن)، ومدخلي البحر المتوسط (قناة السويس في مصر، ومضيق جبل طارق في المغرب).

وتقع فيه أكبر بحيرات العالم - بصرف النظر عن عذوبة أو ملوحة مائها - مثل:

-	بحيرة قزوين	٤٣٨,٠٠٠ كم ^٢
-	بحيرة فكتوريا	٨٣,٠٠٠ كم ^٢
-	بحيرة آرال	٦٣,٠٠٠ كم ^٢
-	بحيرة تشاد	١٦,٠٠٠ كم ^٢
-	البحر الميت	١,٠٥٠ كم ^٢

ثالثاً: المياه الجوفية^(٣٤):

في تقرير نشرته الجزيرة على الإنترنت في شهر مايو ٢٠٠٢م نقل منه الجزء التالي: "رغم أن الكرة الأرضية يطلق عليها أحياناً "الكوكب الأزرق" بسبب كثرة مياه المحيطات بها بالمقارنة باليابسة، فإن تلك المياه أكثرها مالحة لا يستطيع الإنسان أن يشربها، والمتوفر الصالح لاستخدام الآدمي منها جزء ضئيل، كما أن ٩٥٪ من إجمالي المياه العذبة توجد في باطن الأرض.. أي ما نسميه بالمياه الجوفية.

وتسير المياه الجوفية داخل الفراغات التي توجد بين الرمال والحصى، وعبر تشققات الصخور، وقد تتجمع تلك المياه داخل طبقة صخرية مائية ترقد فوق طبقة من الصلصال أو من الصخور الأقل نفاذية. أما في الطبقات الجيرية، فقد تتجمع المياه الجوفية وتجري داخل قنوات وكهوف كبيرة. وقد يحدث أن تحبس المياه الجوفية لآلاف السنين، بل وملايينها بسبب تغيرات جيولوجية حدثت بباطن الأرض وهو ما يؤدي إلى تكوين ما يعرف بمياه العصور الحجرية.

تتم إعادة اختزان المياه الجوفية عن طريق مياه الأمطار، وذوبان الجليد وترشيح المياه السطحية إلى أسفل داخل التربة، وتعتمد معدلات إعادة الاختزان على جيولوجية المنطقة وظروف الطقس بها، بالإضافة إلى وفرة الغطاء النباتي على سطح الأرض بها. وتجد تلك المياه الجوفية طريقها إلى سطح الأرض عبر عدة طرق.. فقد ترتفع طبيعياً إلى السطح على هيئة ينبوع. أو قد تصب داخل البحيرات والأنهار والمحيطات، أو قد يقوم الإنسان بحفر بئر يصل حيث المياه الجوفية.

وتعتبر حركة تلك المياه إلى أسفل من أجل إعادة الامتلاء ثم إلى أعلى مرة أخرى من أجل الخروج عملية ترشيح طبيعية لها، وهو ما يجعل المياه الجوفية تحت الظروف الطبيعية من آمن مصادر المياه للاستخدام الآدمي على وجه الأرض، بل ومن أفضل المصادر لإنتاج المحاصيل الزراعية الجيدة. وقد يتأثر مخزون المياه الجوفية إذا كان معدل استخراج المياه من الطبقات الصخرية المائية أكبر من معدل إعادة امتلائها. كما قد تتأثر بالملوثات المختلفة عن طريق تسربها إلى داخل التربة، وبالتالي إلى المياه الجوفية. وقد تكون تلك الملوثات هي المبيدات أو الأسمدة الزراعية أو من مقالب القمامة أو من تسربات مخازن الغاز أو المجاري".

٣٤- هذه البيانات مقتبسة من تقرير نادبة العوضي الذي نشرته الجزيرة بتاريخ ٢٠٠٢/٣/٥م تحت عنوان

"هيدرولوجيا النظائر.. لرسم سياسات المياه".

حظ الدول الإسلامية من المياه الجوفية:

الدول الإسلامية كغيرها من الدول فهي جزء من العالم، وتتركز أساساً في قارتي أفريقيا وآسيا، حيث يوجد في الأولى ٢٦ دولة وفي الثانية ٢٧ دولة. والتكوين الجيولوجي للمناطق الصحراوية قد يكون متشابهاً إن لم يكن متساوياً، وبما أن المياه الجوفية تسير داخل الفراغات التي توجد بين الرمال والحصى، وعبر تشققات الصخور، فإن جيولوجياً أو نقول طبيعة تكوين أرض الدول الإسلامية تتوافر فيها بيئة المياه الجوفية، والدليل على ذلك ما قامت به ليبيا من تشييد النهر الصناعي العظيم التي تتكون مياهه من المياه الجوفية المستخرجة من قلب الصحراء، ويمتد من جنوب الجماهيرية إلى شمالها لنقل كميات هائلة من المياه العذبة الصالحة للشرب والزراعة، والتي تقدر بنحو ٦,٥ مليون متر مكعب يومياً^(٣٥). والأردن أخذ يحذو حذوها حيث أعلنت وزارة المياه والري الأردنية عن طرح عطاء دولي لتنفيذ مشروع إستراتيجي بجنوب المملكة يهدف إلى زيادة موارد البلاد المحدودة من المياه بكلفة تقدر بنحو ستمائة مليون دولار.

ووجه إعلان العطاء الذي نشرته الوزارة في شهر أغسطس (آب) ٢٠٠١م في الصحف المحلية وفي موقعها على شبكة الإنترنت الدعوة إلى القطاع الخاص لتنفيذ مشروع استغلال المياه الجوفية لحوض الديسي جنوب الأردن.

ويقضي المشروع - وهو على غرار النهر الصناعي العظيم في ليبيا - بضخ ١٠٠ مليون متر مكعب سنوياً من مياه الحوض إلى عمان عن طريق حفر ٦٥ بئراً داخل الحوض ونقلها إلى عمان بواسطة مضخات رفع وأنبوب طوله ٣٢٥ كيلومتراً. ويصنف الأردن الذي تعد ٩٢٪ من أراضيه صحراوية ضمن أفقر عشر دول في العالم من حيث الموارد المائية^(٣٦).

والمياه المتوفرة في العالم الإسلامي - السطحية والجوفية الصالحة للاستعمال - تقدر بنحو ٢١٥ مليار متر مكعب، المستخدم منها لا يتجاوز ٦٠٪^(٣٧).

٣٥- النهر الصناعي العظيم في ليبيا يمتد لمسافة ٤٠٠٠ كيلو متراً من جنوب إلى شمال الجماهيرية عبر أنابيب أسمنتية ضخمة يبلغ طول الأنابيب الواحد سبعة أمتار ونصف المتر بقطر أربعة أمتار، وزنة ثمانين طناً. راجع الصفحة الرسمية للحكومة الليبية على الإنترنت (www.gmmrwua.com/ar).

٣٦- الجزيرة: الثلاثاء ٢٤/٥/١٤٢٢هـ الموافق ١٤/٨/٢٠٠١م، توقيت النشر: الساعة ٤٦: ١٤ (مكة المكرمة)، ٤٦: ١١ (غرينيتش).

٣٧- عبد الرحمن آل سعود، مشكلة الفقر وسبل علاجها في ضوء الإسلام، ص ١٠٨.

رابعاً: الزراعة:

تشكل الأراضي الزراعية حوالي ١١,٣٪ من مساحة العالم الإسلامي، منها حوالي ٦٥٨ ألف كم^٢ أراض مروية تشكل نسبتها ١٨٪ من الأراضي الصالحة للزراعة. وأوضحت دراسة أحمد العيادي أن هناك ألف مليون فدان يمكن اعتبارها أراضي زراعية موزعة بين المحاصيل والمراعي والغابات من أصل أراضي الوطن العربي البالغة مساحته ٣٥٠٠ مليون فدان، علماً بأن ٣٥٠ مليون فدان من أصلها صالحة لزراعة الحبوب، إلا إنه ليس هناك سوى ١٢٦ مليون فدان مزروعة بالفعل، منها ٢ مليون فدان مروية، أما الباقي وهو القسم الأكبر، فيعتمد على المطر. بذلك يبقى ٢٢٤ مليون فدان - أي ما يعادل تقريباً ثلثي الأراضي الصالحة لزراعة الحبوب - دون استغلال، ويقع معظمها في السودان. هذا في حين أن الاستخدام الأمثل للأراضي الزراعية سيزيد من نصيب السكان العرب من الموارد الغذائية، حتى تفوق نصيب الفرد في الولايات المتحدة الأمريكية المنتجة لكبير فائض غذائي في العالم^(٣٨).

أنواع المحاصيل الزراعية التي تنتجها الدول الإسلامية:

أ. دول منطقة البحر الأبيض المتوسط:

تنتج الدول الواقعة في حوض البحر الأبيض المتوسط الزيتون والفاكهة، والقطن، والأرز، والقمح، والشعير، والذرة، والبن، وقصب السكر، والتمر، والكتان، والصوف بالإضافة إلى انتاج الغابات من أخشاب وفحم، فضلاً عن الانتاج الحيواني من قطعان الماشية والأبقار والأغنام والطيور الداجنة.

ب. دول القارة الأفريقية:

تنتج الدول الإسلامية الواقعة في القارة الأفريقية - غير الواقعة في حوض البحر المتوسط - الأرز، والسمسم، والدخان، والفول السوداني، والموز، والكافو، وجوز الهند، والسكر، والشاي، والبن، والمطاط، والصمغ بالإضافة إلى العديد من الخضروات، ومنتجات الغابات، والأسماك، والمنتجات الحيوانية - لحوم وجلود وغيرها.

ج. الدول الإسلامية بقارة آسيا:

أشهر ما تنتجه هذه الدول المطاط (في ماليزيا واندونيسيا)، والبن، والشاي، وقصب السكر، والدخان، والحبوب الرئيسية؛ الأرز والقمح والتوابل، والقطن والصوف، والتمر أيضاً، هذا بالإضافة إلى منتجات الأسماك والمنتجات الحيوانية الأخرى.

٣٨- راجع أحمد صبحي العيادي، الأمن الغذائي في الإسلام، ص ١٦١-١٦٢.

منتجات الدول الإسلامية من الموارد الطبيعية:

أكثر الموارد الطبيعية تواجدا في دول العالم الإسلامي هي النفط والغاز الطبيعي، حيث يتوافر الأول في حوالي ٣٥ دولة إسلامية ويشكل إنتاجه ٤٣٪ من الإنتاج العالمي، أما الغاز الطبيعي فيوجد في حوالي ٢٥ دولة إسلامية ويشكل إنتاجه ٨٪ من الإنتاج العالمي. الجدير بالذكر أن منظمة الدول المصدرة للبترو (الأوبك) تتكون من (١١) دولة، منها دولة واحدة فقط غير إسلامية، وتنتج هذه الدول - السعودية، الجزائر، إندونيسيا، إيران، العراق، الكويت، ليبيا، قطر، الإمارات العربية المتحدة، نيجيريا، فنزويلا - ٤٠٪ من البترول العالمي، وتمتلك ثلاثة أرباع الاحتياط العالمي من البترول الخام^(٣٩). كما أن العالم الإسلامي غني بالثروات المعدنية الأخرى بكميات اقتصادية مثل: الفوسفات، البوتاس، والفحم، والحديد، والذهب، والفضة، والزنك، والنحاس، والمنجنيز، والرصاص، والقصدير الذي يبلغ انتاجه في الدول الإسلامية ٤٧٪ من الإنتاج العالمي من القصدير، أغلبه في نيجيريا^(٤٠).

هذا يوحي بأن العالم الإسلامي غني جداً بالموارد الطبيعية على اختلاف أنواعها، ويمتلك مسطحات مائية هائلة، وأراضي صالحة للزراعة لو تم استغلالها بالكامل لجعلت المجتمع الإسلامي من أغنى المجتمعات، ويتحكم في مداخل وممرات مائية حيوية جداً، كما يمتلك كميات هائلة من المياه الجوفية تنتظر من يستغلها. كما أنه يستطيع التحكم في الاقتصاد العالمي من خلال التحكم في إنتاج النفط. إذا علمنا أن عالماً بهذه المكانة فما لنا إلا أن نتصور أنه مجتمع غني أو على الأقل لديه اكتفاء ذاتي في المجالات الحياتية الحيوية، لكن للأسف فإنه عالم مدين لغيره بمبالغ بلغت في جملتها - على المستوى العربي فقط - قرابة ٣٠٠ مليار دولار أمريكي^(٤١).

الإجراءات التي تمت من قبل الحكومات لعلاج مشكلة الفقر:

لقد عقدت مؤتمرات وندوات محلية وعالمية لدراسة مشكلة الفقر ومعرفة أسبابها ووضع

الحلول لها.

٣٩- راجع منظمة الأوبك على صفحتها الرسمية على الإنترنت.

٤٠- راجع فكري نعمان، النظرية الاقتصادية في الإسلام، دار القلم، دبي ١٩٨٥م، ص ٤٣٨ - ٤٣٩.

٤١- أحمد صبحي العيادي، الأمن الغذائي في الإسلام، ص ١٦١-١٦٢.

ونورد هنا ما أوردته الجزيرة تحت هذا العنوان: "١٧ دولة أفريقية تعاني من نقص في المياه"^(٤٢). وهذا نصه:

"أفاد بيان وزاري وقعه ٢٢ دولة أفريقية أن ما لا يقل عن ١٧ دولة في القارة الأفريقية ستعاني من نقص في المياه بحلول سنة ٢٠١٠، بما يعني أنها ستوفر أقل من ألف متر مكعب من الماء لكل نسمة سنويا. جاء ذلك بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي للأمم المتحدة بشأن الماء في العاصمة الألمانية بون.

وقال الناطق باسم الأمم المتحدة إن الدول المهتدة بنقص المياه هي الجزائر والمغرب وتونس وليبيا ومصر وجيبوتي وبوروندي وإريتريا وإثيوبيا ومدغشقر وزيمبابوي وجنوب أفريقيا وليسوتو وملاوي وموزمبيق وتنزانيا وأوغندا. وعقد مؤتمر بون الذي أنهى أعماله اليوم في إطار الاجتماعات الدولية البيئية التي تسبق قمة (ريو + ١٠) أو قمة الأرض الثانية المقرر عقدها في سبتمبر/ أيلول المقبل في جوهانسبيرغ بجنوب أفريقيا، وخصص لإعداد ملف المياه في القمة. وقال وزير البيئة الألماني يورغن تريتين إن المؤتمر جمع ١٣٠٠ مشارك يمثلون السياسة المائية في ١٣٠ دولة مثل حوالي ٥٠ منها على مستوى الوزراء.

وكشف البيان الصادر عن الدول الأفريقية أن هناك حاليا أكثر من ٣٠٠ مليون شخص محرومون من مياه الشرب، أو أن مساكنهم غير موصولة بشبكة مجار لصرف المياه المستعملة. ووقع الإعلان الوزراء الذين يمثلون جنوب أفريقيا وأنغولا وبنين والكاميرون وساحل العاج وجمهورية الكونغو الديمقراطية وجيبوتي ومصر وغامبيا وغانا وغينيا بيساو ولوسوتو وملاوي ومالي وجزيرة موريشيوس وموزمبيق ونيجيريا والسنغال والسودان وتنزانيا وتوغو وأوغندا. وقال الوزراء إن على دولهم توفير الظروف التي من شأنها جلب "الاستثمارات الضخمة" الأجنبية الضرورية لمدّ شبكات المياه والصرف الصحي، وطلبوا مساعدة الدول الصناعية مذكّرين بأنها تعهدت برفع مساعداتها من الأموال العامة للتنمية إلى ٠,٧٪ من إجمالي إنتاجها الوطني.

وقد عقد مؤتمر قمة الأرض بجنوب أفريقيا في شهر سبتمبر عام ٢٠٠٢م والذي عني بالدرجة الأولى بمحاربة الفقر والحفاظ على البيئة وتنميتها لتفي بحاجيات السكان خصوصا الدول الفقيرة.

٤٢- الجزيرة: السبت ١٤٢٢/٩/٢٣ هـ الموافق ٢٠٠١/١٢/٨م، توقيت النشر: الساعة ٠٢ : ٠١ (مكة المكرمة)،

٠٢ : ٢٢ (غرينيتش).

وكان أول وأكبر مؤتمر للبيئة عقد بالبرازيل عام ١٩٩٢م والذي عرف بقمة الأرض، وقدرت تكاليفه بنحو ١٠ مليار دولار أمريكي.

هذا بالإضافة إلى المنظمات الدولية المخصصة في التنمية الزراعية والأغذية مثل: منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) التابعة للأمم المتحدة □ والمنظمة العربية للتنمية الزراعية التابعة لجامعة الدول العربية، التي وافق مجلس جامعة الدول العربية على إنشائها بموجب قراره رقم ٢٦٣٥ بتاريخ ١١/٣/١٩٧٠م واتخذت المنظمة من الخرطوم عاصمة جمهورية السودان مقرّاً لها، لما يميّز به السودان من موارد زراعية كبيرة يمكن باستثمارها التأثير إيجابياً على الأمن الغذائي العربي.

كذلك المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة (أكساد) الذي تمّ إنشاؤه عام ١٩٦٨م في دمشق بالجمهورية العربية السورية . وهو منظمة عربية متخصصة تعمل ضمن إطار جامعة الدول العربية ، بهدف توحيد الجهود القومية لتطوير البحث العلمي الزراعي في المناطق الجافة وشبه الجافة وتبادل المعلومات والخبرات على نحو يمكن من الاستفادة من ثمار التقدّم العلمي ونقل وتطوير وتوطين التقنيات الزراعية الحديثة بغية زيادة الإنتاج الزراعي في هذه المناطق.

هذه المنظمات وغيرها تُعنى بتنمية الموارد الطبيعية والبشرية والزراعية، والثروات الحيوانية والمائية والنباتية، ورفع كفاءة الإنتاج لتحقيق الاكتفاء الذاتي في الدول النامية. هذه المنظمات تزاوّل نشاطها منذ عشرات السنين، ومع ذلك فمشكلة الفقر تتفاقم، والسكان في تزايد مستمر، وكمية المياه تتراجع، والتوسع العمراني يزحف على الأراضي الزراعية، الدول الفقيرة تزداد فقراً، والدول الغنية تزداد غنى، وعائدات ثروات العالم الإسلامي مازالت تتدفق على البنوك الأجنبية، والمسلمون يتصوّرون جوعاً في كثير من الدول الإسلامية.

الأسباب:

١- عدم الالتزام التام بما شرعه الله تعالى لعباده خصوصاً فيما يتعلق بإخراج الزكاة والصدقات على اختلاف أنواعها ومقاديرها وتوزيعها على مستحقيها. والأمر لا يحتاج إلى دليل حيث نرى ونسمع أن من بين أغنى أغنياء العالم مسلمين من فئات مختلفة، سياسيين ودبلوماسيين ورجال أعمال، وتجار، وثرواتهم تقدر بالمليارات ومعظمها مستثمر في دول غير إسلامية، وفوائدها السنوية تقدّر بملايين الدولارات.

٢- عدم العدالة في توزيع الثروة. ففي كل دولة من الدول الإسلامية يوجد أشخاص قليلون يتحكّمون في ثروات البلاد ويسخّرونها لمصالحهم الشخصية، ولا يصل إلى عامة الشعب إلا الفتات من تلك الثروات، وبهذا يظل الشعب في فقر مدقع، وأصحاب الشأن في عيشة مرفهة.

- ٣- الزحف العمراني على الأراضي الزراعية خصوصاً الأراضي الخصبة القريبة من مصادر المياه.
- ٤- جفاف بعض العيون والآبار الجوفية في كثير من المناطق التي تعتمد على المياه الجوفية خصوصاً في الدول الإسلامية الإفريقية.
- ٥- عدم التوازن بين الإنتاج والاستهلاك والتسويق، فقد يحدث أن يكون المنتج من نوع واحد بكميات كثيرة جداً بحث يزيد عن حاجة الاستهلاك المحلي وليس له من سبيل للتصدير إلى أسواق أخرى، وبالتالي يتلف ولا يستفاد منه.
- ٦- احتكار الدول الغنية على بعض المنتجات الزراعية والصناعية وعدم السماح للدول الفقيرة بإنتاجها حتى تضمن تلك الدول الغنية أسواقاً مفتوحة لمنتجاتها الزراعية والصناعية، ويمكنها التحكم في السوق العالمية.
- ٧- الصراعات السياسية الداخلية، والنزاعات العرقية في المجمع الواحد، والتنازع على السلطة مما يصرف جُلَّ الاهتمام إلى الحفاظ على النظام السياسي القائم ودحر ما عداه من حركات أو أحزاب سياسية، أو دعاوى إصلاحية، أو منظمات مناهضة للحكومات. وفي تلك الحال لا يوجد مجال للتنمية أو الإصلاح الاجتماعي والبيئي.
- ٨- الحروب الخارجية وما تحدثه من دمار هائل للبنية التحتية والمنشآت والمرافق العامة المختلفة، التي تطلب مبالغ مالية طائلة من ميزانية الدولة.
- ٩- الإنفاق الهائل على التسلح، وشراء أنظمة دفاعية مختلفة ومتعددة، وهذا بطبعه مكلف جداً، ولا بد منه في بعض الدول الإسلامية كما هو الحال في الدول المجاورة لإسرائيل للحفاظ على توازن القوة في المنطقة. فقد ورد في كتاب واقع العالم عام ٢٠٠٠م أن النفقات العسكرية للدول الإسلامية بلغت ٧٢ مليار دولار سنة ١٩٩٧م^(٤٣).
- ١٠- الكوارث الطبيعية مثل الأعاصير والفيضانات، والزلازل، والبراكين، والعواصف الرملية، والجفاف وغيرها مما يؤثر على المساحات المزروعة وإهلاك النباتات، وتُفوق أعداد كبيرة من الماشية جراء هذه الكوارث.

الحلول:

على الرغم من المؤتمرات والندوات التي تعقد خصيصاً من أجل التنمية البشرية والبيئية في بقاع مختلفة من العالم، وتنفق عليها مليارات الدولارات، إلا أننا لم نرَ تغييراً جذرياً أو حدثاً صناعياً

٤٣- إعداد أسماء ملكاوي. مذكور سابقاً.

هاما على البيئة الجغرافية للدول الإسلامية أو حتى غير الإسلامية، كما حدث في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (١٨٥٩-١٨٧٥م) حيث قام المصريون بتوصيل البحر الأحمر مع البحر الأبيض المتوسط عن طريق حفر قناة السويس التي يصل طولها ١٦٠ كيلو مترا، ويعرض أقله ٥٥ مترا، وعمق ١٢ مترا، ولم يكونوا يمتلكون ما يمتلكه العالم اليوم من آلات عملاقة للحفر والردم والجرف للمساعدة في حفر مثل تلك القناة، وكان الاعتماد في عملية الحفر على الفؤوس والمعاول وكواهل الرجال.

فإذا كان العالم جاداً في حل مشكلة الفقر فإنه يتوجب عليه أن يخرج من دائرة الندوات والمؤتمرات حول الموائد المستديرة داخل القاعات المكيفة الهواء إلى التنفيذ العملي على أرض الواقع، ولو تطلب ذلك تغييرا استراتيجيا على الساحة الجيولوجية للخروج من الدوران في نفس الحلقة التي يدور فيها منذ زمن بعيد إلى حلقات أخرى، وعندها يشعر العالم من خلالها أنه استفاد فعلا من التقنيات الحديثة في إحداث تغييرات بيئية تسير بالإنسانية نحو الأصلاح، وليس ذلك بغريب أو مستحيل فقد سخر الله تعالى للبشرية ما في البر والبحر، وزودها بالإمكانات والقدرات العقلية والعلمية لاستغلال تلك الخيرات والثروات لصالحها. فإذا استغل الإنسان ما سخره الله له الاستغلال الأمثل لتمكّن من القضاء على الفقر وذلك من خلال اتخاذ الخطوات التالية:

أولاً: الالتزام التام بما شرعه الله من حقوق معلومة في أموال الأغنياء - على اختلاف أنواعها مما تجب فيه الزكاة بالإضافة إلى الصدقة - لأصناف الناس المستحقين لها الوارد ذكرهم في الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [الح الآية].

ثانياً: الالتزام التام بما أوجبه الله تعالى على الموسرين من كفالة المعسرین من ذوي القربى واليتامى والفقراء والمساكين، والأرامل، والمسنين، والعجزة، والمرضى، والمدينين وغيرهم من المعسرین.

ثالثاً: مراعاة العدالة في توزيع الثروة بين أبناء الدولة وعدم احتكارها.

رابعاً: اتباع سياسة عادلة توفر مناخا مناسباً للشعور بالأخوة الإسلامية والحفاظ على الوحدة الوطنية، وتقضي على النعرات والتعصبات العرقية والحزبية، وتصرف جهود الجميع للإنتاج والتنمية البيئية والاجتماعية والعلمية.

خامساً: المحافظة على الموارد المائية المتاحة حالياً والعمل على تنميتها من خلال إقامة مشروعات السدود والخزانات، وتقليل المفقود من المياه الذي يسببه الإسراف في الاستخدام، والبخر من أسطح الخزانات، والتسريب من شبكات نقل المياه.

سادسا: العمل على الاستفادة من مياه الفيضانات من خلال بناء سدود أو خزانات في الأماكن المعرضة سنويا، مثل: بنغلاديش التي تجتاح الفيضانات جزءاً كبيراً من أراضيها وتُحدث أضراراً بالغةً في المحاصيل الزراعية والمنشآت السكنية، وتشرّد الآلاف من السكان كل عام.

سابعاً: إيجاد موارد مائية إضافية وذلك عن طريق:

أ- الاستفادة من مياه مَصَبَات الأنهار واستغلالها في الريّ أو تنقيتها واستعمالها في الشرب، فإن كثيراً من الأنهار الموجودة في الدول الإسلامية تنتهي مصباتها في البحر كما هو الحال في نهر النيل الذي يصبّ في البحر الأبيض المتوسط، ونهري دجلة والفرات اللذين يصبّان في مياه الخليج.

ب- استخراج المياه الجوفية الموجودة في كثير من أراضي الأقطار الإسلامية، والاستفادة منها في الري والشرب، كما حدث في ليبيا التي أنشأت نهريها الصناعي من مياه الخزان الجوفي، وفي مصر توجد مناطق كاملة تعتمد اعتماداً كلياً على المياه الجوفية مثل الواحات البحرية ومنطقة الوادي الجديد، وواحة سيوة وسيناء، وكذلك الحال في المملكة العربية السعودية، والسودان، والجزائر والنيجر وفلسطين وغيرها من الدول الإسلامية التي توجد بها واحات وأودية تتغذى على المياه الجوفية، إلا أن تلك المياه ليست مستخدمة استخداماً كاملاً.

ج- إنشاء خزانات ضخمة في المناطق الساحلية؛ ساحلي البحر الأحمر، ساحل البحر المتوسط، ساحل بحر العرب، ساحل المحيط الأطلسي، ساحلي الخليج العربي، وتغذية هذه الخزانات بمياه محلّاة من مياه البحار على غرار المياه المحلّاة في دول الخليج وخاصة الكويت التي تعتمد على مياه التحلية بنسبة ٩٥٪ من إجمالي المياه المستخدمة في الدولة. وتنقل المياه من هذه الخزانات عبر أنابيب أو قنوات مغطات لمنع عملية التبخر خصوصاً في المناطق الحارة، إلى المناطق السكنية والمنشآت الصناعية والأراضي البور ذات التربة الصالحة للزراعة، وما أكثرها في الدول الإسلامية. مثل هذه الخزانات توفرّ مياه عذبة ونقيّة للشرب، ومياه صالحة للزراعة تساهم في امتداد الأراضي الزراعية وبالتالي زيادة الإنتاج وتوفير الأمن الغذائي للمواطنين.

د- تسخير التكنولوجيا الحديثة في إيجاد مصادر مائية غير تقليدية مثل: شق قنوات مائية تصبّ في بحيرات صناعية يمكن حفرها في مناطق جافة تتوسط الدول الإسلامية البعيدة عن مصادر المياه العذبة أو المالحة، كأن تشق قناة تصل المحيط الأطلسي بجمهورية النيجر بأفريقيا، لتستفيد منها دول المنطقة - موريتانيا، النيجر، تشاد، الجزائر، الجزء الغربي من السودان، الجزء الجنوبي من ليبيا. ومثلها يمكن أن يكون في الربع الخالي من المملكة العربية السعودية، وتشق لها قناة من

البحر الأحمر أو من الخليج العربي، وأيضاً في المنطقة المشتركة بين أفغانستان وباكستان وإيران، وتشق لها قناة من الساحل الشرقي للخليج الفارسي. مثل هذه المشاريع العملاقة لا يمكن أن تقوم بها دولة بمفردها بل تتم بتنسيق وتعاون الدول معاً وبمساهمات مالية مشتركة يمكن أن يتبناها البنك الإسلامي للتنمية تحت مظلة منظمة المؤتمر الإسلامي بالتعاون مع المنظمات الدولية الأخرى وفي ظل قانون دولي يشجع هذا العمل في إطار محاربة الفقر وتنمية البيئة. فإن إنشاء بحيرات صناعية يساهم بشكل مباشر وكبير في حل مشكلة الفقر عن طريق:

- ١- توفير ثروة سمكية كبيرة للمناطق المحيطة بها؛
 - ٢- تلطيف الأجواء الجافة المحيطة بالبحيرات عن طريق البحر الطبيعي مما قد يساهم في هطول الأمطار، وبالتالي تواجد البيئة الخضراء وتوافر المراعي للماشية والأنعام، وأيضاً تغذية الخزانات الجوفية؛
 - ٣- الملاحة المائية التي تساهم في تنشيط حركتي التجارة والسياحة بين دول المنطقة؛
 - ٤- إقامة محطات تحلية على ضفاف تلك البحيرات تغطي احتياجات المناطق المجاورة من المياه العذبة؛
 - ٥- إقامة مشاريع متنوعة - تجارية، صناعية، زراعية، خدمات - تستقطب كثيراً من الأيدي العاملة التي تتلهف على العمل؛
 - ٦- التشجيع على استصلاح أراضي زراعية جديدة، والتنوع في المزرعات، وإنتاج سلالات جيدة من البقول والفواكه والخضراوات.
- وكما أشرنا سابقاً فإن الماء شريان الحياة، فحيث وجد الماء وجد الخلق ووجدت معه الحياة، لكنها حياة تحتاج إلى نظام يعيش في فلكه الأحياء، فالحياة لا تعمّر بدون نظام، والنظام لا يتم بدون منظم، والمنظم لا بد أن يكون عالماً بدقائق الكون، ولا عالم بدقائق الكون إلا خالقه سبحانه وتعالى والخالق أمر خلقه بعبادته، وسنّ لهم شرائع تستقيم بها أمورهم، وكلفهم بالسعي لأرزاقهم مما سخره لهم في البر والبحر. فإن أطاعوه واجتهدوا وأقاموا العدل بينهم فتح عليهم بركات من السماء والأرض، وإن عصوه أذاقهم لباس الجوع والخوف وجعل معيشتهم ضنكاً، لا يجدون ملجأً ولا يهتدون سبيلاً.
- وعلى الله قصد السبيل.

* * * *